(105) بضرورة رعاية القانون واجتناب التخلف عنه، وهذا ينافي ما ورد عن أئمة اهل البيت (عليهم السلام) في احاديث ان تعالى على العباد حجتين ظاهرية وباطنية هما النبي والعقل، لأن العقل ليس له حكم قاطع في موارد تخلف الانسان عن بعض واجباته فكيف يكون حجة عليه؟. الجواب: العقل العملي يدعو دائما إلى ما ينفع والاجتناب عما يضر، ولكن الانسان المستثمر عندما يرضخ للتعاون الاجتماعي وتبادل الجهد المشترك انما يفعل ذلك اضطرارا، ومنشا الاضطرار هو القدرة التي يملكها ويستثمر بها بحرية تامة جهود الآخرين او القوة التي تقع في يد من يضع القوانين. وغيرها ذلك من الأسباب التي فصلناها قبل هذا. في هذه الحالة لو لم تكن قوانين خاصة تحد من هذه القوة والقدرة، لايحكم العقل نفسه بلزوم اتباع القوانين، كما لاينهى عن تخلف الانسان عن القوانين ونقضه لها. ولكن لو رجعنا إلى نظرية الوحي وكان منشأ الاضطرار المذكور هو الحكم الالهي ومراقبة الأعمال والعقيدة بالثواب والعقاب والجزاء وأنها كلها بيد تعالى المنزه عن الغفلة والجهل والعجز. في هذا الوقت لم يكن مكان للعقل حتى يتخلى عن الحكم لعدم احساسه بالاضطرار، فلابد أن يتبع العقل الوحي في أحكامه. قال تعالى: (افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت)(1).

_____ (1) سورة الرعد: 33.